لماذا التوحيد ..

— ٤ —

للأستاذ محمد عبد المجيد الشافعى

الرئيس العام للجماعة

ورئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

ويروى البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الملائكة تنزل فى العنان (السحاب) فتذكر الأمر قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

من هذا يبدو لك أن هؤلاء الشياطين من الإنس يتخذون من شياطين الجن عونا على التغرير بالناس والإيقاع بهم فى حبائل الشرك حيث تدخل على الواحد منهم فيطرق إطراقة وينتظر فترة ، ثم يحدثك بما هو واقع فى بيتك أو بينك وبين زوجك ، فتظن أنه يعلم الغيب مع الله فتشرك بالله من حيث لا تشعر ، وبهذا الظن تكذب صريح القرآن الذى يؤكد فى غير موضع أن الغيب كله لله حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب ، بدليل قول الله سبحانه (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ...) وكثير من الناس يظن أن الجن يعلمون الغيب فيشرك بالله مالم ينزل به سلطاناً ، وإذا كان الرسول الأعظم والنبى الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب فكيف بالجن يعلمون الغيب !!؟

مع أن القرآن الكريم يحكى لنا أنهم لا يعلمون الغيب بدليل قول الله تعالى حكاية عن الجن مع سليمان عليه السلام فيقول « فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين » (١)

---

(١) الآية ١٤ سورة سبأ

كل هذه الآيات والأحاديث التى ذكرناها، وغيرها كثير إنما الغاية منها ان يعلم الناس ان الله وحده هو الذى يعلم الغيب ولا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول، وأنه عندما يطلع الرسل على بعض الغيب إيقانا بنبوتهم وتصديقا لرسالاتهم، أما غير الأنبياء الذين يدعون علم الغيب دجالون يجب على الأمة أن تحذرهم وعلى الشعب أن يلفظهم.

أما السلطان الروحى من الإنسان[1] على أخيه الإنسان فهو البلية العظمى والطامة الكبرى التى أودت بعز المسلمين وقضت على مجد الإسلام وقوضت بنيانه وهدمت أركانه.

وهو الذى إذ درسته أنصار السنة المحمدية ووقفت من التاريخ على أثره الخطير وشره المستطير، فزعت إلى المسلمين فى بقاع الأرض تحذرهم من الوقوع فيه والإستمرار فى تعاطيه.

فهو - أى السلطان الروحى - إفك أعظم ما يكون الإفك بل هو الضلال والشرك وهو الرق أعنف ما يكون الإستعباد والرق وهو الذى يعمد به الأشياخ إلى المريد لسلب إرادته وهدم شخصيته حيث يطلبون منه ألا يفكر ولما مدبر، وينفثون فى روعه بكلمات ونتمات تبدو وكأنها كلمات الأبرار، وهى فى حقيقتها كلمات تحمل فى طياتها الخراب والدمار وهو الذى يطالب المريد أو التابع أن يكون مع شيخه كالميت بين يدى الغاسل فيمسخه ويحيله من صفته كإنسان ويجعله كالحيوان ينصاع لصاحبه يجره بحبل فى عنقه كيف يشاء لا يدرى إلى أين المصير.

ومن ثم فهو يفضى بالتابعين والمريدين إلى التقليد، والتقليد منزلق إلى البلادة وتوقف العقل وتعطل الفكر وركود الذهن.

وبه أى السلطان الروحى يتسلط أولئك الذين إتخذوا الدين حرفة وباعوه بضاعة مزجاة فى شكل عهود وحجب وتمائم على مريديهم وأتباعهم حتى يجعلوا أفئدتهم هواء (خاوية) إلا من الخضوع لهم والذل أمامهم أكثر من الذل بين يدى الله والخوف منهم كيلا يعطبوهم أو يعيبوهم بالسوء.

وهم يصدونهم عن كتاب الله حتى لا تتفتق أذهانهم ولا تنفقه قلوبهم ولا تنفتح أعينهم على الحقيقة الكبرى وهى أن الملك لله وحده يتصرف فيه كما يشاء ويفعل ما يشاء (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ألا تراهم يوهمون البسطاء والجهلاء بعدم قراءة القرآن بزعم أن

---

(١) المقصود بالسلطان الروحى هنا هو ما يكون بين شيخ الطريقة ومريده من أن يكون المريد فى يد شيخه كالميت فى يد الغاسل.

من لحن فيه فقد كفر ، مع أن الرسول ﷺ يقول : « للماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » وليت الأمر كذلك وحسب بل إنهم فى الوقت الذى يمنعونهم من قراءة القرآن يأمرونهم بتلاوة الياقوتة والوظيفة وما لم ينزل الله به سلطانا . ثم هم بعد ذلك يذكرون كرامات الأوتاد والأنجاب والأبدال والأقطاب ، وتصرفاتهم فى الخلق والكون بما يفزع قلوب المريدين . ويصور الأشياخ من هؤلاء بصورة المتصرفين فى الكون من دون الله ، فتذل لهم النفوس وتخشع لهم القلوب .

وهاك ما يقوله إبراهيم الدسوقى عن نفسه — [أنا الله قال لى يوم ولادتى هذا يوم الاثنين فعليك بالصوم يا إبراهيم] — حاشا لله ومعاذ الله أن يكلم الله إبراهيم الدسوقى تكليما — فإنه أخبرنا أنه تعالى كلم موسى تكليما فقط — وأنه لا يوحى إلا إلى الأنبياء .

وهذا أبو السعود يقول لأصحابه — إن الله أعطانا التصرف منذ خمسة عشر سنة — وتركناه تظرفا . . . .

وإليك ما يقوله قطب الواصلين — بزعمهم — عبد العزيز الدباغ — [أن أهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت وما يقع فيه إلى مثله من الغد فهم رضى الله عنهم — هكذا يقول — يتكلمون فى قضاء الله تعالى فى المستقبل ولهم التصرف فى العوالم كلها علويه وسفلية وحتى فى الحجب السبعين وفى عالم الرقا — فهم الذين يتصرفون فيه وفى أهله — يعنى فى الملائكة — وفى خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم فلا يهجس فى خاطر واحد منهم شىء إلا بإذن أهل التصرف] — أقول : فبئس ما يفترون .

بل إن الغزالى غفر الله له يحكى لك فى الجزء الثانى من كتابه إحياء علوم الدين أن أبا تراب يقول لأحد الناس من تابعيه ومريديه : [لأن ترى البسطامى[1] مرة خير من أن ترى الله سبعين مرة]

ويقول عبد الكريم الجيلى فى كتابه الإنسان الكامل — إن العبد إذا ترقى من المرتبة الكونية إلى المرتبة القدسية وكشف له عن الله علم أن ذات الله عين ذاته)[2] .

---

(١) البسطامى من مشايخ الصوفية .

(٢) هذه عقيدة الحلولية والاتحادية الذين يعتقدون أن الله تعالى حال فى كل شىء متحد بجميع الموجودات ، تعالى الله عما يقولوا الظالمين علوا كبيراً .

ويقول عن الولى — وليس للولى علم الله وحده بل للولى كل صفة من صفات الله — فالولى منهم خير وأعظم من رسول الله الذى يقول الله له فى القرآن الكريم (كل لا أملك لنفسى نفعاً ولاضرا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) بل الولى منهم هو ذات الله وله علم الله وصفاته ومن هنا جاء إسقاط الفرائض لأن الواحد منهم إذا وصل يعنى اتحد بالله (الاتحادية) يسقط عنه التكليف كما يقول أحد زعماؤهم . . . . —

العبد رب والرب عبد ياليت شعرى من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب وإن قلت رب فإنى يكلف

كما يزعم سيدهم عبدالكريم الجيلى فى نفس كتابه أن الطبائعية والفلاسفة والمجوس والدهرية والبراهمة واليهود والنصارى والمسلمون كلهم على حق وكل هذه الطوائف تعبد الله على ما يجب أن يكون .

ثم يسف أولئك كل الأسفاف فيحاولون عن طريق السلطان الروحى أن يوهموا المريدين والتابعين لهم أنهم قد كشف عنهم الحجاب وأن أحداً لايستطيع أن يصل إلى الله إلا عن طريقهم .

ألا تراهم بهذا يحاولون ماستطاعوا أن يصدوا الناس عن كتاب الله إلى كتبهم ويصرفوهم إلى أقطابهم ويجعلوا منهم آلهة تعبد من دون الله ويفرضوا عليهم سلطانهم الروحى فيقتلون فيهم روح الجد إلى الاستكانة والذل والتواكل والاستسلام لهم فلا يتصرف فى شىء إلا بأمر شيخه حتى إن الإستعمار قد استعان بهم فأشاعوا فى البلاد وأعلنوا بين العباد أن الاستعمار الفرنسى لم يقع إلا بأمر من الله وعلى عباد الله أن يستسلموا لأمر الله ! !

ألا إن السلطان الروحى أشد خطراً وأعظم بأساً من الاستعمار الحديدى لأن الأول إنما يستعمر الأرواح ويستعبد الأنفس ويستذل القلوب فتخنع وتخشع أمام سلطان الأشياخ على العكس من الاستعمار الحديدى الذى يستفز النفوس ويستنهض الهمم ويغرس البغضاء فى قلوب المحتلين حتى تكون الثورة على المستعمر المستبد . (يتبع)

فى ذم البخل

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول العبد : مالى . مالى . وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأقتنى . ماسوى ذلك : فهو ذلك ذاهب وتاركه للناس » . أخرجه مسلم عن أبى هريرة .

٢ ـ الدعوة إلى الجهاد فى القرآن والسنة

لسماحة الأستاذ الشيخ عبد الله بن حميد
الرئيس العام للإشراف الدينى بالمملكة السعودية

فنفى سبحانه وتعالى التسوية بين المؤمنين القاعدين عن الجهاد وبين المجاهدين ، ثم أخبر عن تفضيل المجاهدين على القاعدين درجة ، ثم أخبر عن تفضيلهم عليهم درجات .

قال ابن زيد : « الدرجات التى فضل الله بها المجاهد على القاعد : سبع ، وهى التى ذكرها الله تعالى فى قوله : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح . إن الله لا يضيع أجر المحسنين)[1] فهذه خمس..

ثم قال (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة[1] ، ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم . . وهاتان اثنتان ..

قال ابن القيم — بعد ذكره لكلام ابن زيد :

« والعجب : أن الدرجات هى المذكورة فى حديث — ابى هريرة ، والذى رواه البخارى فى صحيحه عن النبى ﷺ أنه قال « من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها .. قالوا : يا رسول الله : أفلا نخبر الناس بذلك ؟ قال : إن فى الجنة مائة درجة — أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ، كل درجتين كما بين السماء والأرض .. فإذا سألتم الله فاسألوه (الفردوس) ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة .. » رواه البخارى .

وقال (ابن القيم) فى قوله تعالى :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن . . ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

---

(١) الآية ١٢٠ ، ١٢١ سورة التوبة

جعل سبحانه ها هنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن ، وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد .. أحدها : إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة (إن) . الثانى : الإخبار بذلك بصيغة الماضى الذى قد وقع وثبت واستقر .

الثالث : إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذى اشترى هذا البيع : الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه ..

الخامس : أنه أتى بصيغة على التى للوجوب إعلاماً لعباده بأن ذلك حق عليه ، حقه هو على نفسه ..

السادس : أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه ..

السابع : أنه أخبر عن مثل هذا الوعد . وأنه فى أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى : (التوراة والإنجيل والقرآن) ..

الثامن : إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار ، وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه .

التاسع : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه ..

العاشر : أنه أخبرهم إخباراً مؤكدا بان ذلك البيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع ها هنا بمعنى البيع الذى أخذوه بهذا الثمن وهو (الجنة) .

وقوله : (بايعتم به) ، أى عاوضتم وثامنتم به ، ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذى وقع العقد ونم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره العابدون له بما يحب .. الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون السائحون (وفسرت السياحة) ، بالصيام (وفسرت) : بالسفر فى طلب العلم .. (وفسرت) بالجهاد .

وأفهت الآية خطر النفس الانسانية وشرفها وعظم مقدارها .. فإن السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر إلى المشترى لها من هو .. وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو .. وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس .. والله سبحانه المشترى لها والثمن لها جنات النعيم .. والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه ..

وناهيك بهذا الفضل .. من شرف وعلو منزلة .. إلى غير ذلك مما أوضحه الله

فى القرآن من بيان أجر المجاهدين وتعظيم شأنهم وتحريك العواطف ، وطلب التضحية فى سبيل الدعوة .. وبعث القوة والشجاعة فى النفوس ، وحثهم على الإقدام والثبات.. وأن الله ناصرهم وممدهم بالملائكة ..

(إذ تقول للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ..) ١٢٤ — ١٢٦ — آل عمران .

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ١٣٩-١٤٢- آل عمران .

وأخبر عما يلقاه من يستشهد فى سبيل الله من الحياة وأنهم عند ربهم يرزقهم ما يشاءون وتعلو وجوههم البشارة ..

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) .

وقال تعالى :

(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت .. فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً . .) ٧٦ - النساء

وقال : (فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) .

وقال: (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما . .)

فانظر يا أخى كيف يستثير الهمم لإعلاء كلمة الله ولحماية الضعفاء وتخليص المظلومين ..

وانظر كيف يقرن القتال بالصلاة والصوم .. ويبين أنه مثلهما مكتوب على المؤمنين ..

وكيف يشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ، ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جرىء ، مبيناً لهم أن الموت سيدركهم لا محالة ، وأنهم إن ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة الدنيا أعظم عوض ولا يظلمون فتيلا .

وهذا باب واسع لم يرد فى ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه ، ولهذا كان أفضل ماتطوع به الإنسان وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة ومن الصلاة التطوع والصوم التطوع كما دل عليه الكتاب والسنة وهو ظاهر عند الاعتبار ، فإن نفع الجهاد عام لنا عله ولغيره فى الدين والدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة فإنه مشتمل من محبة الله والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال ما يشتمل عليه عمل آخر ..

ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله . . والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل .. »

ورغب إليه صلوات الله وسلامه عليه بسيرته وثباته وشجاعته وصبره ، وأخبر ما للمجاهدين فى سبيل الله من الأجر والثواب العاجل والآجل ، وما يدفع الله به من أصناف الشرور ، وما يحصل به من العز والتمكين والرفعة وجعله ذروة سنام الإسلام .. وقال : « إن فى الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين فى سبيله .. » ـ متفق عليه ـ

وقال : « من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار .. » أخرجه البخارى

ولما فى الصحيحين : « أن رجلا قال : يا رسول الله : أخبرنى بشىء يعدل الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : لا تستطيع .. قال أخبرنى به ؟ قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم لا تفطر .. وتقوم لا تفتر .. قال : لا قال : فذلك الذى يعدل الجهاد » .

كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه : « أن أرواح الشهداء فى جوف طير خضر تنبوا من الجنة حيث تشاء ، وأن الشهيد يغفر له جميع ذنوبه وخطاياه ، وأنه يشفع فى سبعين من أهل بيته ، وأنه آمن يوم القيامة من الفزع الأكبر ، وأنه لا يجد كرب الموت ، ولا هول المحشر ، وأنه لا يحس ألم القتل إلا كمس القرصة » .. « البحث بقية »

الإيمان بالله

بقلم
فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ سيد سابق

كل ما فى الكون شاهد على وجود الله ، وعناصر الوجود ومواد الطبيعة تؤكد أن لها خالقاً ومدبراً ، والنفس الإنسانية مفروس فيها الشعور بوجود الله وهو شعور فطرى فطر الله الناس عليه ، وعبر عنه العلماء بالغريزة الدينية .

وهذا الشعور يستيقظ عند وجود مثير من ألم ينزل أو ضر يحيط .

والوجود الإلهى كما هو حقيقة تتجلى فى الكون وفى الطبيعة وفى الأشياء وفى النفس فهو قريب من الإنسان بل أقرب إليه من نفسه يسمع دعاءه ويلبى نداءه ويحقق رجاءه والطريق إلى معرفة الله هى التفكر فى خلقه من جهة ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا من جهة أخرى ، ومتى عرف الإنسان ربه عن طريق العقل والقلب أثمرت له هذه المعرفة ثماراً يانعة وتركت فى نفسه آثاراً طيبة ، ومن هذه الثمار تحرر النفس من سيطرة الغير ، وذلك أن الإيمان يقتضى الاقرار بأن الله هو المحيى المميت الخافض الرافع الضار النافع المعطى المانع ، وأنه ليس للبشر مهما علا قدره وعظم شأنه أن يسوق إلى الإنسان ما أراد الله منعه ، أو يمنع عنه ما أراد الله أن يعطيه أياه ، وما البشر إلا خلق مثله .

وإذا تحررت النفس من سيطرة الغير أخذت طريقها إلى الكمال دون أن يعوقها عائق أو يصدها عن غايتها صاد . . . إن الذى عوق البشرية عن النهوض وحال بينها وبين الرقى هو الخضوع للاستبداد سواء أكان هذا الاستبداد استبداد الحكام والرؤساء أم استبداداً كهنوتيا لرجال الدين .

وبتقرير الإسلام هذه الحقيقة قضى على هذا الاسر وأطلق حرية الإنسان من سيطرة المستبدين التى لازمته طويلا .

والإيمان يبعث فى النفس روح الشجاعة والاقدام واحتقار الموت والرغبة فى الاستشهاد من أجل الحق ، إذ أن الايمان يوحى بأن واهب العمر هو الله وأنه لا ينقص بالأقدام ولا يزيد بالأحجام . فكم من إنسان يموت وهو على فراشه الوثير ، وكم من إنسان ينجو وهو يخوض غمارات المعارك والحروب . والايمان يقتضى الاعتقاد بان الله هو الرزاق وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ... وإذا سيطرت هذه العقيدة على

النفس تخلص الانسان من رذيلة البخل والحرص والشره والطمع ، واتصف بفضله بالجود والبذل والعطاء والسخاء والأنفة والفقه ، وكان إنسانا مأمول الخير مأمون الشر .

والطمأنينة أثر من آثار الايمان ومتى اطمأن القلب وسكنت النفس شعر الانسان ببرد الراحة وحلاوة اليقين واحتمل الأهوال بشجاعة وثبت إزاء الخطوب مهما اشتدت ورأى أن يد الله ممدودة إليه وأنه القادر على فتح الأبواب المغلقة فلا يتسرب إليه الجزع ولا يعرف اليأس إلى نفسه سبيلا .

والإيمان يرفع من قوى الانسان المعنوية ويربطه بمثل أعلى ، وهو الله مصدر الخير والبر والجمال والكمال وبهذا يسمو الانسان على الماديات ويرتفع عن الشهوات ويستكبر على لذائذ الدنيا، ويرى أن الخير والسعادة فى النزاهة والشرف وتحقيق القيم الصالحة ، ومن ثم يتجه للمرء اتجاها تلقائيا لخير نفسه وخير أمته وخير الناس جميعاً ... وهذا هو الرقى وهو اقتران العمل الصالح بجميع شعبه وفروعه بالايمان إذ أنه الأصل الذى تصدر عنه وتتفرع منه .

والحياة الطيبة يعجل الله بها للمؤمنين فى الدنيا قبل الآخرة وتتمثل هذه الحياة فى ولاية الله للمؤمن وهدايته له ونصره على أعدائه وحفظه مما يبيت له وأخذه بيده كلما عثر أو زلت به قدم ، فضلا عما يفيضه عليه من متاع مادى يكون عوناً له فى قطع مرحلة الحياة فى يسر .

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) إن الايمان شىء كبير فى حياة الانسان وعليه أن ينميه ويتعهده حتى يصل إلى درجة اليقين والإذعان والتسليم . . . وتكون التنمية بالعمل الصالح من ذكر لله وتفكر فى خلقه وتلاوة للقرآن وصلاة فى جوف الليل ومدارسة للعلم ومجالسة للعلماء العاملين . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن الايمان يبدو فى القلب لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات ازدادت ونمت حتى يبيض القلب كله » .

الحسد . . .

فى الحسد : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل والنهار . فسمعه جار له ، فقال : ليتنى أتيت مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه فى حقه . فقال رجل : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل » . أخرجه البخارى عن أبى هريرة

٤ ـ الإقتصاد الاسلامى

مدخل ومنهاج

بقلم الأستاذ الدكتور عيسى عبده
أستاذ الاقتصاد بالجامعة

ليس عجيباً بعدهذه الاشارة الخاطفة أن نرى خاصة الفرنسيين من حول الملك ومن رواد الصالونات المترعة بألوان المتاع الذى لا يعرف حدا من العرف ولا من القانون (ولندع ذكر الذين جانبا تنزيها له عن مواطن السوء) وقد انطوت نفوسهم على إكبار للهنود الحمر ، مثلا أصحاب أمريكا الأصليين .. ومن جرى فى حياته على شاكلتهم من حيث البساطة والقربى إلى الطبيعة وهى الأصل . . وإليها تعود أسباب المتاع كما تعود الأبدان جميعاً .

وكان من جماعة الطبعيين رجال قانون (من المحامين بوجه خاص) وكان إدراكهم للحق مستنداً إلى مصادر قديمة كفلسفة الأغريق وشرائع الرومان، ورأى هولاء أن للحق قدسية لاتستمد من هذه الأوضاع المنهارة وإنما تستمد من جملة الأوضاع الثابتة للطبيعة بما فى ذلك مايكون بين الأشياء وبين أفراد الناس من علاقات هى فى جوهرها كالقواعد الآمرة التى لايترتب على عصيانها مجرد الجزاء ، وإنما يترتب على جهلها أو تحديها عن قصد ضياع المجتمعات .. وهكذا تضافرت جهود العلماء من هذه الجماعة الخاصة على القول بأن الطبيعة المصدر الوحيد للثروة والنماذج التى تتخذ فى كل نشاط إنسانى يراد له البقاء .

اطمأنت جماعة الطبيب الفرنسى « كيزناى » إلى هذه النزعة القوية نحو الطبيعة وأقاموا فلسفتهم ، ومن ثم ملامح مذهبهم على أمور أهمها :

قالوا بأن الزراعة هى الصورة الخالدة الصافية لما يمكن الانسان أن يستمده من الثروة بالمعنى الاقتصادى ، ومن ثم رفعوا الزراعة فوق غيرها من صور السعى لكسب المعاش .

وقالوا بأن حياة الريف بما فيها من بساطة وهدوء هى الحياة الأفضل على الرغم مما يبدو على هذه الجماعة الآخذة بأسباب الفضيلة ، من زهد نسبى فى متاع الحياة الدنيا ، فإن الكتاب الثقات يقولون بأن الاقتصاد الحديث تأثر بكتابات الطبيعيين فى كل من أسلوب البحث والهدف منه. فمن الأسلوب يقال بحق إن الطبعيين عرفوا بدقة المتكلمين والمناطقة. .

وكان لحرصهم هذا على الالتزام بالمنهج العلمى الدقيق فى تحليل المسائل المطروحة على بساط البحث وسلامة الترابط بين المفردات واستخلاص النتائج كان لحرصهم هذا مع الثبات عليه فى معظم كتاباتهم آثار كبيرة على أساليب البحث التى اتخذها من جاء بعدهم من الكتاب الذى عرضوا المادة « الاقتصاد » .

وأما الهدف الذى شغلهم تحقيقه، فقد أكسبهم احترام الأجيال من عهدهم إلى يومنا هذا . . ذلك أن هدفهم هذا لا يذكر لمجرد القول بأن غيرهم قد تابعهم فيه بل يذكر لما فيه من تشريف لتاريخ الدراسات الاقتصادية كلها . . ذلك أنه قبل كيزناى وجماعته ما كانت تلك الدراسات تثير فى النفس السوية أى احترام بل كانت تتراوح بين تثبيت الظلم وتغليب النهر فوق الحق وإشاعة الفساد . . فإن كان بين الأهداف ما هو أقل بعداً عن الإنسانية . . فهو الملق والرياء ، أو التقرب إلى السلطان . . كأنما كانت هذه القربى غاية الغايات من الدراسات ! !

وعلى هذا الذى أوجزناه فى كلمات . . إجماع . . فقد كان الهدف الأول من البحث فى الاقتصاد السياسى هو توفير فائض من المعدن النفيس لتمكين الملك من دفع رواتب الجند ورشوة قواد الأعداء (كما ذكرنا من قبل) . . وكان من الاهداف أيضاً إثارة الطريق أمام التجارة لتحقيق أضعاف مضاعفة من الثروات . . وملء خزانة الملك مع خزائن المقربين . . وإلى هنا وصل اجتهاد الرواد الأوائل . . قبل « كيزناى » أو ذلك مبلغهم من العلم ! !

فلما عكف الطبيعيون على التقعيد لمذهبهم كان هدفهم (لأول مرة فى تاريخ الاقتصاد الوضعى) توجيه الدراسات الاقتصادية إلى الكشف عن الوسائل الفعالة التى تقدر على التخفيف من آثار الحرمان أو الفقر المهدر لكرامة الآدمى .

ومن هذا التحول المبكر — فى عهد الطبيعيين — نحو هدف إنسانى . . اصطبغت الدراسات الاقتصادية بصبغة تؤهلها للدخول فى ميادين الدراسات الإنسانية ، وعلى هذا النهج سار الكتاب حتى أصبح الهدف الأول فى الدراسات الحديثة والمعاصرة هو ما فكر فيه الطبيعيون .. وإن زاد على تتابع الجهود صقلا وتهذيباً . . فيقولون مثلا . . بأن الهدف « هو تحقيق حياة أفضل لجملة الناس » أو يقولون « هو رفع مستوى الرفاهة وتوفير مزيد الأمن » .. وسنصرف النظر إلى هنا عن بعد ما بين الأقوال والأعمال ولكن هكذا يقرر الكتاب وبهذا ينادى قادة الفكر الاقتصادى من بعد « كيزناى » ومدرسته ولكى نستبين مدى الجرأة والصلابة متى تميزت بها هذه الجماعة من العلماء نلاحظ أن أحداً من

قبلهم (فيما بين القرن الخامس عشر والثامن عشر) لم يحاول فى صراحة أن يقول بان الدراسة العلمية المنهجية . . إنما تهدف إلى الانصاف وتخفيف الشقاء عن الكادحين ، فقد كانت أقوال كهذه تعتبر عظة لا مرحباً بها ولا بمصدرها ، كما تعتبر إثارة للشغب ومن ثم تكون سبباً للمساءلة أمام القانون وما يؤيده من تعذيب ومن سجون إن صح أن يكون هذا هو القانون ! !

وسنلمس الأثر الكبير للطبيعيين حين نرى سلوك غيرهم من قبلهم ، من العلماء دائماً فقد كتب (فوبان) مثلا قبل عهدهم بنحو ستين سنة (أى فى سنة ١٧١٧) ، وظهرت فى كتاباته علامات الاهتمام بشئون الناس كافة : والدرجات الكادحة والفقيرة خاصة . . ولم يسعه إلا أن يبرر هذا المسلك غير المألوف من عالم رزين ، سجل التاريخ اعتذاره الذى ساغه فى عبارة تناقلتها الأجيال .. قال مبرراً عنايته بشئون الضعفاء ، « إذا ابتأس الشعب افتقر الملك » ، ومن ثم يكون اهتمامه بصلاح حال الكثرة إنما يراد به تحقيق المزيد من الثراء والرفاهة لمن فى رعايته ! !

ولقد ذهب الدارسون فى تقدير مثل هـذه الأقوال المنسوبة إلى فوبان مذاهب شتى لا تخلو من الاجتهاد . . ومن ثم ظهر الخلاف بين كاتب وآخر عند تحديد العلامات الكبرى على طريق الفكر الاقتصادى . . وعند تقدير الوزن الصحيح لكل مدرسة وحساب ما لها وما عليها .

(يتبع)

الشرك

« الشرك » أن يتعبد القلب لغير الله : خوفاً ورجاء ، ورغبة ورهبة ، وذلا وخشية وإجلالا وتعظيما وحباً ، فتندفع الجوارح مستسلمة ومنفذة لسلطان هذا التعبد القلبي: دعاء واستعانة واستغاثة ، وفزعاً ولجأ ، وطلبا ومسئلة ، وضراعة واستكانة ، ونذراً وحلفا وذكراً وسعياً وبذلا للنفس والمال فى مرضاة الشريك أو الشركاء . ومنشأ الشرك : من الجهل بالله وأسمائه وصفاته وآياته ، ومن الجهل بالشريك نفسه . فالشرك بالله ثمرة لازمة للجهل بالله ولابد ، ولذلك سمى الله المشركين الأولين : أهل الجاهلية ، فإن الإنسان لو عرف ربه بأسمائه وصفاته ، ونعمه وسننه وآياته ، معرفة صحيحة تكون ثمرة التفكر فى خلق نفسه وخلق السموات والأرض ، والتدبر لآيات وحيه ، فإن هذه المعرفة تملك عليه قلبه ، وتدفعه إلى الإيمان الصادق بأن الله ربه وفاطره ورازقه: هو الذى تنبغى له الإلهية وحده ، ولا يليق بالقلب أن يتعبد إلا له .

الرؤيـــا

• (إذ قال يوسف لأبيه : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال : يابنى لاتقصص رؤياك على إخوتك ، فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للانسان عدو مبين ، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم) ٤ - ٦ يوسف .

• (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا . وقال : يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا) ١٠٠ يوسف

* * *

• تحدث القرآن الكريم فى آياته المحكمات عن مجموعة من الرؤى :

— فى « سورة الأنفال » : (إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر)(١)

— وفى « سورة الإسراء » : (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس)(٢)

— وفى « سورة الصافات » : (فلما بلغ معه السعى قال : يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال . يا أبت افعل ماتؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما ، وتله للجبين ، وناديناه : أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين)(٣) .

— وفى « سورة الفتح » : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا مبينا)(٤) .

— أما فى سورة يوسف فنلتقى بخمس رؤى .

الرؤيا الأولى : رؤيا يوسف : (يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين)(٥)

---

(١) الأنفال : ٤٣ (٢) الإسراء : ٦٠ (٣) الصافات : ١٠٢ ـ ١٠٥
(٤) الفتح : ٢٧ (٥) يوسف : ٤

الرؤيا الثانية : رؤيا ساقى الملك : (إنى أرانى أعصر خمراً)[1].

الرؤيا الثالثة : رؤيا خباز الملك : (إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه)[2]

الرؤيا الرابعة : رؤيا الملك الأولى : (إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف)[3].

الرؤيا الخامسة : رؤيا الملك الثانية : (وسبع سنبلات خضر وأخريابسات)[4]

* * *

• ولما كان الحديث عن « الرؤيا » يثير عدة تساؤلات ؛ فقد آثرت أن أستعرض فى هذا المقال نماذج من تلك التساؤلات ، ثم أتناولها بالإجابة بقدر مايوفق الله ويعين .

تساؤلات :

— لماذا سميت الرؤيا : رؤيا ؟

— ومامعنى الحلم ؟ وماهى أضغاث الأحلام ؟

— ومامعنى « تعبير الرؤيا » ؟

— وماهى أنواع الرؤيا ، وهل رأى علماء النفس فى الرؤيا صحيح ؟

— وماذا يفعل الإنسان إذا رأى مايحب ، أو مايكره ؟

— وهل تتحقق الرؤيا الصادقة فوراً ؟

— وماهى المبشرات ؟

— وهل يمكن أن تتحقق رؤيا الكافر ؟

— وهل يمكن أن يرى الإنسان فى منامه حلمين فى ليلة واحدة فى نومة واحدة ؟

— ومامعنى كون الرؤيا الصادقة جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة ؟

— وما الفرق بين رؤيا الأنبياء ، ورؤيا غيرهم ؟

— وإذا كانت رؤيا الأنبياء حقاً ، فلماذا أرى الله نبيه جيش المشركين فى بدر قليلا ، وهو يومئذ كثير ؟

— وهل يثبت بالرؤيا حكم شرعى ؟

— ثم ... مانحقيق قوله صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لايتمثل بى » ؟

* * *

(١) يوسف : ٣٦ (٢) يوسف : ٣٦ . (٣) يوسف : ٤٣ (٤) يوسف : ٤٣

١ — الرؤيا :

• إنما سميت « رؤيا » — بالألف — لأنها عبارة عما يرى فى النوم ، كما أن « الرؤية » — بالتاء اسم لما يرى فى اليقظة ، فهما : « كالقربة » و « القربى » وفرق بينهما للتمييز .

• ثم . . أنه قلما يحلم الإنسان حلماً تحتوى مادته على لغة وكلام ، وإنما الأكثر أن يرى الحلم ولا يسمع كلاماً .. كما فى رؤى « سورة يوسف » كلها .. ولذلك اشتق « للرؤيا » اسم فيه معنى « الإبصار » لا « السمع » .

٢ — الحلم :

• الحلم — بضم الحاء وسكون اللام ، وقيل : بضمهما — : ما يرى فى المنام من الخيالات الفاسدة ، قال القسطلانى : وإضافة « الحلم » إلى الشيطان لكونه على هواه ومراده ، وأما إضافة « الرؤيا » — وهى : اسم للمرئى المحبوب — إلى الله تعالى ، فإضافة تشريف ، وظاهره أن المضاف إلى الله تعالى لا يقال له : حلم ، والمضاف إلى الشيطان لا يقال له : رؤيا وهو تصرف شرعى ، وإلا فالكل يسمى : رؤيا .

٣ — أضغاث الأحلام :

• وأضغاث الأحلام : تخاليطها وأباطيلها ، وما يكون منها من حديث نفس ، أو وسوسة شيطان ، وأصل الأضغاث : ماجمع من أخلاط النبات ، الواحد : ضغث ، فاستعيرت لذلك ، والإضافة بمعنى « من » أى : أضغاث من أحلام .

٤ — تعبير الرؤيا :

• تعبير الرؤيا : ذكر عاقبتها ، وآخر أمرها ، كما تقول : عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه ، وهو عبره . ونحوه : « أولت الرؤيا » إذا ذكرت مآلها ومرجعها .

• ولم يذكر فى القرآن الكريم لفظ التعبير إلا مرة واحدة فى قوله تعالى . (يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون)[1]

٥ — أنواع الرؤيا :

والرؤيا أنواع كثيرة ذكر منها ابن حزم[2] أربعة :

— ما يكون من قبل الشيطان ، وهو ما كان من الأضغاث والتخليط الذى لا ينضبط .

— ما يكون من حديث النفس ، وهو : ما يشتغل به المرء فى اليقظة فيراه فى النوم من خوف عدو ، أو لقاء حبيب ، أو خلاص من خوف أو نحو ذلك .

— ما يكون من غلبة الطبع .

(١) يوسف ، ٤٣ (٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٥ ص ١٩

— مايريه الله عز وجل نفس الحالم إذا صفت من أكدار الحسد وتخلصت من الأفكار السيئة .

• و « علم النفس » الحديث يتفق مع ابن حزم فى النوعين : الثانى والثالث، ويخالفه فى الأول والرابع ؛ لأنهما يستندان إلى أمر « غيبى » والغيبية مرفوضة فى بحوث علم النفس ! !

وقد وقع « علم النفس » وعلماؤه فى حيرة بسبب رفض هذين النوعين ! !

إذ كيف يمكن تفسير الرؤى الصادقة ، التى تتحقق فى عالم الواقع ، وفق قواعد علم النفس ومقرراته ؟ !

٦ — ماذا يفعل من رأى مايحب ؟

وماذا يفعل من رأى ما يكره ؟

• أخرج البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى من حديث أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم السوء من الشيطان، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئا فلينفث عن يساره ولينعوذ بالله من الشيطان فإنها لا تضره ، ولا يخبر بها أحداً ، فإن رأى رؤيا حسنة فليستبشر ولا يخبر بها إلا من يحب »

وأخرج مسلم وأبو داود من حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم : « أمر من رأى ما يكره أن يتحول عن جنبه الذى كان عليه ، وأمره أن يصلى » .

فالرسول — صلى الله عليه وسلم — فى هذين الحديثين ، يأمر من رأى ما يكره بخمسة أشياء :

(١) أن ينفث عن يساره (٢) أن يستعيذ بالله من الشيطان (٣) أن لايخبر بها أحداً (٤) أن يتحول عن جنبه الذى كان عليه (٥) أن يقوم إلى الصلاة[1]

ويأمر من رأى مايحب بشيئين :

(١) أن يستبشر (٢) أن لايخبر بها إلا من يحب .

• وقد قال مالك رضى الله عنه : لايعبر الرؤيا إلا من يحسنها ، فإن رأى خيراً أخبر به ، وإن رأى مكروها فليقل خيراً أو ليصمت .

يتبع

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم جـ ٢ ص ٩٢

فرعون... والفرعونية !!!

بقلم الأستاذ : مصطفى عبد اللطيف درويش

(فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية)

الإنسان قد يعيش مع الفساد ويألفه وتطول عشرته معه فيظنه حقاً مكتسباً، ولهذا لما عرض لوط على قومه الزواج بالبنات قالوا (لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق) فقد اعتبروا الفحش مع الرجال حقاً مكتسباً مألوفاً متوارثاً لايجوز أن يحرموا منه .. بل اعتبروا القلة المؤمنة المترفعة عن هذا الفحش .. اعتبروها جماعة مفسدة متخلفة تحول دون أمزجة الآخرين !!! ويجب أن تنفى من الأرض فقالوا (أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) ..!!!

وليس هذا ببعيد عن مجتمعات القرن العشرين ..

للمرأة التى ترقص شبه عارية صاحبة رسالة !!!

وللمرأة التى يحتضنها الرجل ويقبلها فيما يسمى « بالأفلام » تعرض على الجماهير .. صاحبة فن رفيع !!!

وللمرأة التى تقف عارية تماماً ليسجل طلبة الفنون كل زوايا جسدها .. ثقافة وفن وحضارة .. ولا يعترض إلا المتخلفون الرجعيون المتأخرون أو كما قال قوم لوط « أناس يتطهرون » .. !!

فليس بعجيب أن يصبح ممارسوا الفاحشة مع الرجال (أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون)

وهكذا فساد .. ودعوة إلى الفساد، ويظن الإنسان أنه صاحب حق فيه .. بل وصاحب رسالة وحضارة ومدنية وتفتح !!

وقد تكون المصيبة أكبر وأفظع عندما يدعو الإنسان إلى الفساد وهو يظن أنه يدعو إلى الهداية والرشاد . وذلك كان شان فرعون مع قومه (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)

ولكن .. ما سبيل الرشاد الذى هدى فرعون قومه إليه ؟

(إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) فقد جعل أهل الأرض أحزاباً متنازعة تتصارع فيما بينها لتحقق له فى

النهاية الخضوع والولاء ، ولتنشغل فى صراعها فيما بينها عن صراعها معه ، أما الطائفة الأخرى فقد استضعفها وذبح أبناءها .

وأحب فرعون أن يكون مرهوباً فى الأرض فنادى فى قومه « أنا ربكم الأعلى » و « يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى » واتجه إلى الإكراه والطغيان لحمل الناس على السير فى ركابه ، ولهذا قال السحرة بعد إيمانهم « إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر » وكان فرعون يهدد بالسجن لمن يرفض اعتناق أفكاره ومبادئه ، فقال لموسى عليه السلام « لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين » واعتبر فرعون مجرد الحوار معه ضرباً من الجنون فقال « إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » وكان فرعون يحب أن يتنافس الناس فى الاقتراب منه « قالوا أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ؟ قال : نعم وإنكم إذن لمن المقربين » وكان فرعون يحب أن يردد الناس اسمه ، فأراد السحرة أن يرضوا فيه هذه النزعة فقالوا « بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون » وجعل فرعون لنفسه رقابة على العقول والأفكار فلا يسمح لها باعتناق شىء إلا بإذنه « قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر » .

وبدأ الصراع بين الحق والباطل وأبى للربوبية والألوهية الزائفة أن تنتصر فى حرب مع الإله الواحد القهار !!

وانتهى فرعون إلى جثة تتلاعب بها الأمواج وتتقاذفها كالكرة فى أيدى الصبية حتى تلقى بها إلى الشاطىء « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » لترى الرعية العابدة من ادعى أنه ربهم الأعلى .. وشاءت حكمة الله أن ينجو ببدنه حتى لا يقول العابدون ذهب إلى جوف البحر مع الآلهة .. أو ارتفع إلى السماء فى مكان لائق !!

ولكن لا هذا ولا ذاك ، إنما هى جثة رب مزعوم وإله زائف ألقت بها الأمواج إلى الرعية العابدة لتعلم المصير الذى انتهى إليه وليكون عبرة لكل الأجيال القادمة .. ولكن مات فرعون .. والفرعونية لم تمت ، ولهذا قال رسول الله ﷺ عندما قتل أبو جهل فى غزوة بدر « مات فرعون هذه الأمة » لكى يعلم الناس إن لكل أمة فرعوناً .. ولا يطل الفراعنة برؤوسهم إلا وسط أمم لها عقول خفيفة يسهل حملها وتحريكها ، ولهذا فإن فرعون « استخف قومه فأطاعوه » لأن الثعالب لا تنتشر إلا فى مجتمع الأرانب والذئاب لا تنتشر إلا بين الغنم .

والإنسان إذا أحب أن يرهبه الناس وأن يسارعوا إلى تقديم فروض الولاء والطاعة العمياء له ، وأن يطمعوا فى الاقتراب منه فتكون علاقة الناس به رهبة ورغبة ، وألا

تكون الغلبة لهم إلا بعزته وأن يسبح الناس بحمده .. وأن يجعلوا كلامه قرآناً يتلى ويردد فى كل مكان .. فقد جعل من نفسه فرعوناً .

ولأنه لا رغبة ولا رهبة إلا إلى الله تعالى فالكل سواء أمام شريعة الله ولهذا وقف رسولنا ﷺ يقول « أيها الناس من جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه .. » لأنها شريعة الله والخضوع لها عبادة وتقوى وأكرم الناس أتقاهم لله ، وحتى لا يأتى حاكم المسلمين فيمنح نفسه تفويضاً مطلقاً بإرسال الناس إلى المقاصل[1] وفيابات السجون باسم للبادىء !! فتحكم الناس قواعد « كل خبراً وعش » « وللجدران اذان » « وإن وجدت بلداً تعبد عجلا فاجمع من الحشائش وأطعمه » ! ! وهكذا تنطلق الرهبة والرغبة إلى غير الله وتظهر الفرعونية أو الأصنام الآدمية ، ويلف كل ذلك فى ثوب أرفع للبادىء .

ووسط هذا الجو العفن يظهر المنكر لأنه لا يجد عنه ناهياً ، ويختفى المعروف لأنه لا يجد له آمراً ، فتكون النتيجة الوبال على الأمم وأصنامها .

ولهذا حرص الإسلام على ألا تكون الرهبة والرغبة إلا إلى الله تعالى ، فلا تندهش أن تجد من الناس من يخوض فى عرض رسول الله ﷺ وهو حاكم الجزيرة الذى يملك أن يسلط السيوف على رقاب القاذفين ، ولكنه ينتظر فى صبر حتى تنزل البراءة من عند الله ، ويأتى حكم الله فى القذف فيسارع إلى التنفيذ ! ! ويغير خطة معركة بدر بأكملها تنفيذاً لما أشار به الحباب بن المنذر ، ولا يخشى القائد أن يتهم بعدم التدبير ، ولا يخشى الجندى الذى أشار بخطة مخالفة أن يتهم بعدم التجاوب ! فانتهى الأمر إلى الانتصار . ويقف رفيقه فى الغار فيقول وهو خليفة للمسلمين : « إن صرفت فقومونى » ويقف عمر فيقول « من رأى منكم فى اعوجاجاً فليقومه » وذلك حتى لا يكون من بين حكام المسلمين من يغامر بمستقبل الشعوب، وقد جعل من نفسه ذاتاً مصونة لا تمس وترتفع فوق مستوى التقويم والإرشاد ، فضلا عن المناقشة ، ولا يكون ذلك إلا فى مجتمع تنصرف فيه الرغبة والرهبة إلى غير الله تعالى .

فإذا انصرفت الرغبة والرهبة إلى غير الله فقد أطلت الفرعونية برأسها . . ولا تطل

---

(١) المقصلة : آلة تقتل لتنفيذ حكم الإعدام

الفرعونية إلا وسط أهل الاستخفاف « فاستخف قومه فأطاعوه » . . والنهاية واحدة وإن اختلفت الأسباب « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » .

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك واجعل رغبتنا ورهبتنا إليك ، وتوفنا مسلمين .

التقوى . . .

التقوى : هى أن تأخذ من كل ما أعطاك ربك سبباً يقربك ممن لنفسك من الخير والرشد والحكمة والعلم والهدى، والبصيرة والنور والعزة والقوة والفلاح والسعادة فى دنياك وآخرتك ، وأن تقيم منه وقاية وحاجزاً حصينا بينك وبين كل ما تخاف وتحذر فى نفسك وفى أسرتك وفى مجتمعك ، فى دينك ودنياك وأخراك . فإن الله ما أعطاك حاسة من حواسك ؛ ولا قرشاً من مالك، ولا ولداً ولا زوجة ولا صديقاً ولا أسرة ولا والداً ولا جاراً ، ولا أى شىء مما تضطرب فيه فى معاشك - إلا ليربيك به وينميك ويزيدك كرامة على كرامة ؛ ورفعة على رفعة ، ويحفظك به من النزول والتسفل على دركات الفشل والخيبة والسفه والطيش ، فإنك الإنسان المكرم، الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وسخر لك مافى السموات ومافى الأرض (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فاحتفظ بكرامتك ، وغذها بما تتنزل به ملائكة ربك لك من عناصر الحياة والقوة : تكن من المؤمنين المفلحين .

الحياء . . .

الحياء : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استحيوا من الله حق الحياء . قلنا : إنا لنستحيي من الله يارسول الله ، والحمد لله . قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء : أن يحفظ الرأس وماوعى ، والبطن وماحوى، ويذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى . فمن فعل ذلك . فقد استحيى من الله حق الحياء » أخرجه الترمذى عن عبدالله بن مسعود .

الجـــزاء
(٢)

للسيدة الفاضلة: فهيمة صدقي

حرم الدكتور محمد رضا رحمه الله

ثم قال تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي أصبح المجرم الفاجر مؤمنا تقياً يسارع في الخيرات ، فبدل الله تعالى سيئاته حسنات ، ومن أعجب العجب أن بعض الناس يظن أن الله تعالى سيبدل السيئات حسنات لمن اقترف الكبائر ثم تاب وآمن وعمل عملا صالحاً ، أي إن من زادت سيئاته زادت حسناته ، ومن أصر على اقتراف الآثام علت درجاته ، فهل من المعقول أن يكون للصر على السيئات حتى تراكمت وتكدست أكثر حسنات ممن تاب من قريب وأصلح .

إن هذا الاعتقاد يحض على اقتراف الآثام ؛ ويغري بالإصرار على التمادي في الحرام ، لتزيد السيئات فتنقلب بعد التوبة إلى حسنات ، فياله من ضلال يدفع إلى الإضلال ، وياله من غباء ينسب إلى الرحمن الرحيم ما يليق به سبحانه وتعالى عما يصفون .

وفي قوله تعالى : (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً) ، تأكيد أن من اجترأ وأصر على الكبائر لم يكن مؤمناً حال ارتكابه للخطيئة حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » . وقول الله سبحانه (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) .

تأمل أيها القارىء شروط الله تعالى لمغفرة الذنوب ، إنها شروط أربعة يشترطها الله تعالى لتحقيق المغفرة فهو غفار لمن تاب وآمن وعمل عملا صالحاً ثم اهتدى بعد ذلك ، أي ظل يسعى للهدى ويتحرى ما يرضى الله بعد ما تاب وآمن وعمل عملا صالحاً .

وقال تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم) .

إن هذا الإنسان الذي تراوح بين الحسنات والسيئات ، اعترف بذنبه ، أي شعر بالندم على مافرط في جنب الله ، فالاعتراف اعتذار وإقرار بالذنب ، والمؤمن التقي الذي اعترف نادماً على ما اقترف ، عسى الله أن يتوب عليه فيكفر عن سيئاته كما وعد سبحانه المتقين في قوله (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجر) وفي قوله : (ومن يؤمن

بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته) نفهم من هذه الآيات الكريمة أن التقي الذي يعمل الصالحات ولكنه يقترف بعض السيئات ساعة ضعف أو غضب ، ثم يندم ويعترف بذنبه ، ويتوب من قريب إلى ربه ، يكفر الله تعالى عنه سيئاته ويعظم له أجراً .

قال الشيخ رشيد رضا : كل ذنب يرتكب لعارض يعرض على النفس من استشاطة غضب أو غلبة جبن أو ثورة شهوة ، وصاحبه متمكن من الدين يخاف الله ، فهو من السيئات التي يكفرها الله تعالى ، إذا كان لولا ذلك العارض القاهر للنفس لم يكن ليجترحه تهاوناً بالدين ، وكان بعد اجتراحه إياه حال كونه مغلوباً على أمره يندم ويتألم ويتوب إلى الله عز وجل ويعزم على عدم العودة على اقتراف مثله ، فهو بعدم إصراره وباستقرار هيبة الله وخوفه في نفسه ، يكون أهلا لأن يتوب الله عليه ويكفر عنه سيئاته ، وكل ذنب يرتكبه الإنسان مع التهاون بالأمر وعدم المبالاة بنظر الله إليه ورؤيته إياه حيث نهاه ، فهو مهما كان صغيراً ، أي في صورته أو ضرره ، يعد كبيرة ، أي من حيث هو استهانة بالدين وداع إلى الاصرار والانهماك والاستهتار ، قال ابن عباس : لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار[1] . أي مع التوبة والندم يغفر الله تعالى أي ذنب ، وأكبر الكبائر في كل ذنب الإصرار ، وهو عدم المبالاة بالنهي والأمر واحترام التكليف .

وما أجمل ما قال علي رضي الله عنه : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، بل أنظر إلى من عصيت ؛ قال : إذا استعظمت الذنب فقد عظمت حق الله ، وإذا استصغرته فقد صغرت حق الله ، وما من ذنب استعظمته إلا صغر عند الله ؛ وما من ذنب استصغرته إلا عظم عند الله .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه . والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فأطاره » .

وقال تعالى (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس ياحسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة من المحسنين)

---

(١) هذا حديث رواه ابن عباس مرفوعاً ، وسنده ضعيف

قل أيها الرسول لعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، أى تمادوا فى الضلال واسرفوا فى الشهوات وعمل السيئات ، قل لهم لا تقنطوا من رحمة الله عز وجل ولا تيئسوا من من مغفرته لهذه السيئات مهما كانت كثيرة ، فإن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب وأصلح كما أكد سبحانه وتعالى فى وعده (فمن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) ووعده (كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) .

ومن أعجب العجب وأعظم الجهل أن يتمادى بعض الفجرة فى فجورهم مطمئنين معتمدين على مغفرة الله لقوله تعالى (لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) ويتغافلون عن شرطه لهذه المغفرة فى قوله (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) هذا تحذير من الله تعالى لمن أسرف وأذنب وأصر وتنبيه له بأن لا مغفرة إلا لمن أناب إلى ربه وأسلم له ، أى تاب إليه وأطاع أمره ، من قبل أن يأتيه العذاب فيندم حيث لا ينفع الندم ، إذ لا مغفرة ولا نجاة لمن أصر على ما فعل وهو يعلم حتى أتاه العذاب أو حضره الموت ، بل لابد له أن يسارع إلى مغفرة من ربه ويبادر إلى الإصلاح وعمل الصالحات لينجو من العقاب .

ثم قال تعالى (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أى اتبعوا ما أنزل اليكم من أوامر تنجيكم وتعليكم فى الدنيا والآخرة ، وأسرعوا إلى ما يدعوكم إليه من قبل أن يأتيكم العذاب على غرة ، فانتبهوا أيها الغافلون من غفلتكم قبل ما تندمون (أن تقول نفس ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين) أى لا ترجوء التوبة حتى تفوت الفرصة فتقول فى حسرة ، ليتنى لم أفرط فى جنب الله ولم أقصر فى حقه ولم أسخر من أوامره ووعيده بالعذاب (أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين)

فما أوقح هذه النفس المغرورة بربها التى تدعى أن الله أهملها فظلمها ، إذ لم ينعم عليها بالهدى ، فلو أن الله هداها لكانت من المتقين ، أى تريد هذه النفس الأمارة بالسوء أن يرغمها الله على الهدى كأنها مجردة من العقل والإرادة ، (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) هذه حسرة ما فوقها حسرة ، وندم ليس بعده ندم ، إنه اعتراف بظلمه وجرمه عندما رأى العذاب بعينه ، وتمنى لو عاد إلى الحياة الدنيا ثانيا ليكون من المحسنين ، ولكن لات حين مناص .

إنه لم ينتهز فرصة الحياة ليعمل الصالحات الباقيات ، فلم يقدم لغد ، ولم يكترث بوعيد ولا وعد ، بل أعرض مستخفا عما يرضى ربه ، واتبع هواه ولم يتق غضبه ، قال تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) وقال (ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد)

وما أجمل ما قال فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى قوله تعالى (قل لعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) أمثال هذه البشارات الرحبة ، يظنها القاصرون ذريعة إلى التقصير فى العمل والاستهانة بالخطأ ، وهذا وهم مغرق فى الضلال ، فما قصد بهذه النصوص إلا تشجيع المجاهد لهواه على المضى فى طريقه ، لا تقفه عثرة ولا تنكسر عزيمته فى الخير لكثرة ما اقترف من الشر ، ولا يقنط من رحمة الله مهما صنع مادام يريد استئناف حياة أنقى وأفضل .

إن صور النفوس أشد تنوعا من صور الوجوه . والارادة والوعى ههنا أساس التنوع والاختلاف . فامرؤ يقارف الجريمة مريدا واعيا يبصر آثارها كاملة . ويقدر على مجانبتها تماما . ويرتب وسائلها ويهيىء ظروفها ويستعد لمفاجآتها . غير امرىء تتسلط عليه إحدى العواطف الحادة كالغضب أو الحب أو القرابة فيتورط فى جناية مندفعا إليها اندفاع للنفوس الإرادة والوعى معاً ، وكلاهما غير ثالث أعوزته أسباب القوت فسرق ، أو أسباب التنشأة الصالحة والتربية الضرورية فأفسد .

نعمت صدقى
من كتاب الجزاء

الفطرة . . .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

انظر إلى هذا الحكم العام الذى لا تخصيص فيه ، فقد أخبر الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم بأن كل مولود يولد على الفطرة . والفطرة هى إقامة الوجه لله . فما يطرأ عليه بعد ذلك مما يغير الفطرة ويدنسها فإنما هو بفعل الوالدين . فأنت ترى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يشهد بأن المولود يولد على الفطرة وإقامة الوجه لله ، أى يولد خيراً لا شر فيه ، وإنما يطرأ الشر عليه بعد ذلك بأسباب تفسد الفطرة الخيرة التى فطره الله عليها . وصفوة القول أن الإنسان مفطور على الخير ، ومطبوع عليه وأن الشر يطرأ على فطرته الخيرة القويمة فيفسدها ويشوهها ويعوجها ، ويذهب بخيرها وجمالها وروائها .

التائهون فى الظلام

للأستاذ محمد فتحى محمود

كم يصادف الإنسان تائهين فى ظلام قد خلقوه بأنفسهم وارتضوا أن يعيشوا فى هذا الظلام الذى يحجب عنهم نوراً ما أسعدهم لو أنهم أوقدوا شموعاً لرأوا الحق أبيض أبلج، ناصعاً تتلاشى أمام جحافله تلك الأوهام التى تتعمد أن تنحرف بأصحابها عن الطريق السديد

وأن التائهين فى الظلام منهم المخلص الحائر الذى تضعف فيه حاسة التمييز فلا يستطيع أن يختار، ومنهم المقلد الجامد الذى درج زمناً طويلا على الحياة فى هذا الظلام، حتى ألفه وأصبح جزءاً من كيانه. فمن العسير أن يفارقه، ومنهم المتشهى بكل غريب يشبع به شهوة غروره ويملأ به، هواه، ومنهم الجرىء الذى يلغى من فكره كل معيار ويتمرد على كل فن معترف به ويخرج على كل علم مسلم به لأنه يحد من إنطلاقه، ومنهم من غلبت عليهم العواطف الفارغة، ومنهم المهووس الذى يشبه « البراغيث الهائجة » يكثر التردد على الأندية، ويغشى المجتمعات المتنافرة، ويتأثر بالفكرة وضدها لايستقر له قرار ولا تهدأ نفسه ساعة. من نهار يهيج ويهدأ، ويحب حبا عارماً، وسرعان ما ينقلب على محبوبه ناهشاً فاضحاً، حياته اضطراب، وسلوكه اعوجاج، وأفكاره سراب، وفؤاده هواء.

وأنا حين أكتب الآن عن التائهين فى الظلام، لا أريد أن أكتب عن هؤلاء الذين يطالبون المسلمين بأن يكون لهم مصدر واحد فحسب، وهو القرآن. ولست أدرى كيف جهل هؤلاء القرآن الذى كثيراً ما يحيل على الرسول عليه السلام والذى يقول (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذ قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقول سمعنا وأطعنا) (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ويقول عليه السلام « يوشك أن يكون أحدكم متكئا على أريكته فيحدث بحديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما فيه من حلال حللناه وما فيه من حرام حرمناه ألا وإن ماحرم رسول الله مثل ما حرم الله).

ونسأل هؤلاء عن كيفية الصلاة فى القرآن والأذان ومواقيت الصلاة وأنواع الزكاة

وأنصبتها وتحريم الجمع بين البنت وخالتها والبنت وعمتها وعن حد شارب الخمر وعن بعض البيوع المحرمة ، وعن تحريم أكل الحمر الأهلية والحيوانات المفترسة والطيور الجارحة إلى غير ذلك من الأمور التي لا تستطيع حصرها لا شك أن هذه دعوة باطلة مقضى عليها بالفناء .

وكذلك لا أريد أن أكتب عن هؤلاء الذين شغفوا بضعيف الأحاديث ومكذوبها ، والذين نرى كثيراً منهم قد اتخذ منابر للمسلمين مصباً لمثل هذه الأحاديث التي نراها تجرى على ألسنة العامة والخاصة ، ولعلنا نستمع إلى فضيلة الشيخ صقر في التليفزيون وهو يكشف هذا الكذب ويفضح هذا التضليل ويكفي أن رسولنا قال « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وأن أمثال هذه الأحاديث ليصبها مجموعة من المشايخ لا سيما مشايخ الطرق في أدمغة الناس ، بذلك يكون لها من الآثار السيئة التي تضر بعقيدة المسلمين وتبعدهم عن ربهم وتشدهم إلى عبادة غير الله من المقبورين ومن المشايخ الذين يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ويفسدون كذلك بها أخلاق المسلمين من الكسل والتواكل والرضا بالذل والاعتماد على القدر المجهول إلى غير ذلك .

ولا أريد كذلك أن أكتب عن هؤلاء الذين يتهجمون على السنة بغير ما وضع لهذه السنة من علوم ضابطة يمكن بها تقييم السنة من حيث الرواية والدراية ، بل أن البعض من هؤلاء حداث الأسنان ، ممن هو في حاجة إلى قراءة وتجارب يتطاول تطاولا مشينا على أصدق كتاب بعد كتاب الله وعلى خير من بذل جهدا لجمع الأحاديث في غير ما ورع ولا احتشام . ويقول هذا حديث تحت النعل وينبغي أن يبال عليه فلا أجد غروراً ولا قحة . بل جهلا وراء ذلك بل هناك من الشيوخ ممن استطال بهم الأجل وأصبحوا على حافة القبر يتلذذون بالتهجم على السنة الصحيحة بأسلوب أقل ما يقال فيه الغرور والرياء والسمعة وعدم الورع والجرأة على دين الله .

أما الذي أحب أن أحذر منه دعوة جديدة نابية ، لو أن اليهود أو غيرهم من أعداء الإسلام قد سلطوا على هدم الإسلام ما كانوا بأشد هدماً للاسلام من هؤلاء الذين يبالغون مبالغة ويغلون مغالاة تتضاءل معها مبالغة ومغالاة الخوارج . هؤلاء الذين أول ما يدعون يدعون إلى بطلان الصلاة في المساجد لأن جميع المساجد مساجد ضرار ، لأن الحاكمية ليست على الأرض ويعنون بالحاكمية إقامة الحدود ، وهم يعتزلون الصلاة في المساجد

ولا يصلون وراء غير تابع لهم ، لأن صلاة غير الأتباع باطلة ، ويغلب على ظني أن هذه دعوى فيها رائحة تتنة. ولعل هذه الدعوة يحركها أعداء الإسلام لهدم الدين لأن المساجد هي المتنفس الباقي للاسلام والأماكن التي يمكن لو أحسن استعمالها لعاد الدين مجده وسلطانه والحكم على مسجد بأنه ضرار لا يكون إلا بوحي ولعل هؤلاء يتوهمون أن وحياً يوحى إلى كبيرهم ، ولقد أوحى إلى كبيرهم هذا أن حرباً ذرية ستحدث بعد عشر سنوات وستدمر فيها الأسلحة الحديثة ، وسيحاربون بالسيوف لينصروا الإسلام .

إن محاربة المساجد كفر وخروج على الاسلام (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها (اسمه وسعى في خرابها) والله يعظم من شأن المساجد (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله « ورجل قلبه معلق بالمساجد » .

ويحكم هؤلاء على المسلمين بالكفر مالم يهاجروا ولست أدري إلى أين يهاجرون ويأتون بأدلة لا تخلو من مغامز وتتعارض مع الصحيح من الحديث والقرآن فمنها قول الرسول « أنا بريء من كل مسلم بين أظهر المشركين » بهذا الحديث يحكمون على المسلمين بالشرك ، وماذا يكون الوضع على فرض صحة الحديث إذا كان المشركين من أظهر المسلمين وكذلك مما يستدلون به (من جاء مع المشرك وسكن معه فهو مثله) والعجيب أن الرسول كان مجتمعا في المدينة عند الهجرة مع المشركين « وبني قينقاع » « وبني النضير » « وبني قريظة » والمنافقين ومات وهو على عهد مع يهود خيبر ، والاختلاط بغير المسلم سواء كان كتابيا أو مشركا جائز وفي ذلك يقول (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم).

أما الهجرة التي يكفرون من لا يؤمن بها فإن الرسول عليه السلام قال « لا هجرة بعد الفتح ولكنه جهاد ونية . .) ويروى البخاري عن عائشة . « انقطعت الهجرة منذ فتح الله على نبيه » ألا فليرجع هؤلاء إلى النصوص الصحيحة وإن فكرتهم ولدت موؤدة محكوم عليها بالفشل لأنها لاتتفق وطبيعة الإسلام التي تكره الانعزالية ، إنما يأكل الذئب من الشاة القاصية) ويحذر الشباب الذي يقع في براثن هؤلاء من أن نستجيب إلى هذه الأفكار المهورة .

الدين والعمل

بقلم فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ
محمد على عبد الرحيم
بالرئاسة العامة لتعليم البنات
بالرياض

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله يحب العبد المحترف » رواه البيهقى والطبرانى .

هذا شأن المؤمن المحترف عند الله تعالى ، يحبه جزاء ماقدم من عمل نافع ، فيبنى لدينه صرحا من المجد ، وينفع نفسه ، ويفيد أمته .

ومن المعلوم أن من أحبه الله تعالى: هداه واجتباه ،وحفظه ووقاه ، وجعله فى ولايته، وأدخله فى رحمته ، فيسعد فى الدنيا والآخرة .

وإذا أحب الله عبداً ، فليس من المعقول أن يعذب المحب محبوبه . ولكن مابال أقوام يحقرون الصناعة ، كما ينظرون إلى الصناع وأرباب الحرف بغير تقدير . مع أن الإسلام دعا إلى الاحتراف ، والاشتغال بالصناعات ، لتكتفى الأمة اكتفاء ذاتيا بصناعات أبنائها. بل جعل الإسلام أطيب مال ، وأحل كسب : ما كان من عمل يد الإنسان . فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » .

ومما لاشك فيه أن الأمة التى فطنت إلى جلال الغاية من وراء الصناعة ، وأدركت سمو الهدف الذى ترمى إليه ، فبذلت كل جهد فى هذا السبيل ، واستسهلت كل صعب ،وأنشأت معاهد للصناعات قد نهضت من كبوتها ، وهبت من رقادها ، وتبوأت مقعدها بين الأمم .

أما الأمة التى لاتزال تأكل من حرث غيرها ، وتلبس من نتاج أخرى ، وتستورد معظم احتياجاتها ، فلم تشق طريقها إلى المجد ، وستظل عالة على غيرها من الأمم .

وإن الذى نلمسه الآن فى الأمم الاسلامية ، من قعود عن المجد ، وتخلف عن ركب التقدم ، لم يكن سببه نقصا فى شريعتهم ، وإنما أساسه التفريط والإهمال .

فالإسلام لايرضى بالدنية لأهله ، ويأبى أن يكونوا أذلة ، أوأن ينصفوا بالعجز والمهانة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

كما نظم الإسلام حياتهم ،فجعل العمل للدين مقرونا بالعمل للدنيا فى غير ضراء مضرة (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك)

ومن أجل ذلك كان الدين عملا ونظاما، وعلماً وصناعة، وحياة عريضة تتميز بالنهوض والاعتلاء، والعز والإباء، ليوفر لأهله الرئاسة والتمكين فى الأرض، مع رغد العيش وهناءة الحال.

وإن أردت مزيدا من البيان عن مسلك الرسول صلى الله عليه وسلم فى تربية الأمة، لتمتلىء نفسك إعجابا بقوة الاسلام. فإليك مارواه النسائى وأبو داود والترمذى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم. فسأله عطاء. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أما فى بيتك شىء؟ قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه (والحلس فى اللغة يستعمل كساء وفراشا)، وقعب نشرب فيه (والقعب وعاء يشبه التاجور بريف مصر). فقال صلى الله عليه وسلم: ائتنى بهما. فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال: من يشترى منى هذين؟. قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يزيد عن درهم مرتين أو ثلاثا؟ فقال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما الأنصارى وقال له: اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما فائتنى به. فأتاه به. فشد رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما. فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم. فاشترى ببعضها طعاما وببعضها ثوبا. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة سوداء فى وجهك يوم القيامة».

فهذا الأسلوب النبوى، يهدى للتى هى أقوم، ويطهر المجتمع من البطالة، ويعز أفراد الأمة بقوة الاحتراف، لتعلم أن الدين يدعو إلى العمل، ويحض على الصناعة، وفى الحديث الشريف: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»

فالمؤمن القوى فى دينه ودنياه، والذى يؤدى ما افترضه الله عليه، ولا يعتمد على غيره فى إطعامه، بل يحترف مهنة يأكل منها، ويستفيد بها المجتمع: هو مؤمن قوى حقا لأنه أخذ بمبدأ الإسلام فكان عاملا فى بناء المجتمع الصالح. وهو بذلك خير من المؤمن الذى انصرف إلى العبادة وعاش عالة على غيره، فاستمرأ البطالة. وأصبح كلا على الناس.

ومن هذا يتضح أن عزة المسلمين، ونجاحهم فى دنياهم يتوقف على الأخذ بمبدأ الإسلام الصحيح، وحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى سياسته الدينية والدنيوية.

ومما يجدر ذكره أن آدم أبا البشر كان فلاحا يأكل من زراعته بعد الهبوط من الجنة، كما ان هذه الحرفة انتقلت إلى أبنائه من بعد.

ثم إن الأنبياء والمرسلين والذين اتبعوهم بإحسان كالخلفاء الراشدين كانوا جميعاً محترفين،

فنهم من رعى الغنم كموسى عليه السلام حينما استعمله شعيب فى رعاية غنمه ، ومنهم من اشتغل بالتجارة كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من احترف الحدادة كداود عليه السلام ، ومنهم من احترف الحياكة كإدريس عليه السلام .

يقول صلى الله عليه وسلم « مابعث الله نبيا إلا رعى الغنم ، قيل يا رسول الله وأنت ؟ قال نعم . كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » .

والقراريط هى الأجور التى يأخذها من صاحب الغنم .

وقد احترف النبى رعاية الغنم بمكة صغيرا قبل أن يشتغل بالتجارة ، واستفاد من هذه الحرفة كثيراً من الفوائد . منها التواضع ، وحسن سياسة الرعية ، والأمانة والصبر وغير ذلك من الفضائل .

ولما قوى ظهره ، واشتد ساعده ، وصار رجلا يافعا عمل بالتجارة فاكتسب منها الصدق والأمانة وحسن المعاملة ، وسمى الصادق الأمين . ولما عرفت خديجة رضى الله عنها هذه الصفات فيه عرضت عليه أن يتاجر فى مالها . فعرفت فيه الإخلاص وكمال الصدق ، ومنتهى الأمانة ، فخطبته لنفسها ، وحقق الله لها ما أرادت وكانت أول أمهات المؤمنين .

ولما انشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغزوات ، وتأسيس الدولة الإسلامية ، لم يتسع وقته للتجارة . فأحل الله له الغنائم ، وفى الحديث « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من قبلى . ومن بينها : وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى » ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « جعل رزقى تحت ظل رمحى » . وهذا كله يدل على أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يأكل من سعيه ومن عمل يده .

فأين هذا ممن يدعون الولاية أو المشيخة ، ويعيشون على الهدايا التى تنهال عليهم من صغار الأحلام ، والجهال والسذج من الناس ، يوهمونهم بأنهم (أى المشايخ) على صلة بربهم ويخترعون لهم عهودا ما أنزل الله بها من سلطان . وكل طريقة لها شيخ خاص وعهد خاص وعبادات وأذكار وأوراد تخالف غيرها من الطرق . ومن أجل هذه الرئاسات الدينية حرص أولئك المشايخ عليها المنافع والمغانم التى تجلب عليهم من دراويش يحبون مشائخهم كحب الله ، والله تعالى يقول « والذين آمنوا أشد حبا لله »

فهل يبيح الإسلام أن يحترف المسلم رئاسة مشيخة أو طريقة ليأكل منها ؟ الأمر واضح لايختلف فيه اثنان . إنه أكل سحت . ولا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به يوم القيامة ، كما ورد عن المعصوم عليه الصلاة والسلام .

أنظر إلى أجل الصحابة قدرا . أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم . هل كنزوا الأموال

وشيدوا الدور من وظائفهم ، أو استغلوا مراكزهم ليكون لهم مال عريض وجاه كبير؟ كلا فهذا الخليفة الأول أبو بكر رضى الله عنه ، كان تاجرا ، ومن تجارته جهز بعض الجيوش الإسلامية ، فلما آلت إليه الخلافة ، بادر إلى السوق صبيحة الخلافة سعيا وراء الكسب ، وطلبا للرزق الحلال .

وهذا عمر بن الخطاب لم يكن أقل شأنا من أخيه أبى بكر رضى الله عنهما ، فكان يقف فى السوق يبيع ويشترى وهو أمير المؤمنين ـ ومما يؤثر عنه أنه قال : ـ « لأن يأتينى الموت وأنا أبيع واشترى خير لى من أن يأتينى الموت وأنا ساجد لربى »

وكان فى أيام خلافته يطارد المتعطلين والكسالى ، ويقول لهم : إن الله يكره الرجل الفارغ من العمل ، لا فى عمل الدنيا ، ولا فى عمل الآخرة .

وقد سجل التاريخ لعمر حكمته الذهبية حيث قال : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول (اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) .

وهذا عثمان ونعرف عنه من ثراء عظيم ، إذ كانت قوافله تغدو وتروح حاملة أنواع الطعام بين الحجاز والشام . أنى له هذا المال الكثير والجاه العريض ؟

ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف المهاجرى وبين سعد ابن الربيع الأنصارى ، خيره سعد فى ماله وأهله . فقال عبد الرحمن : لا حاجة لى فى مالك . ولكن دلنى على السوق أبيع وأشترى . فعمل عبد الرحمن بن عوف فى التجارة حتى أثرى ثراء طويلا . وكانت قوافله تربو على سبعمائة بعير

هذا صراط الإسلام المستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ففرق بكم عن سبيله .

والله ولى التوفيق

شهر شعبان

عن عائشة ، رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم . وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياماً فى شعبان » رواه مسلم.

الاسلام دين القوة

بقلم الأستاذ أحمد طه

الإسلام دين الله بعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس جميعاً . وليقيم على أساسه أمة الحق والعدل والإحسان . ويمحو به دعائم الباطل والظلم والطغيان . وليس الاسلام فوق مستوى العقول فتضل فى فهمه ، ولا مخالفاً للفطر فتحيد عنه .

والانسانية على ضوء الوحى والهداية واحترام العقل والعلم تستطيع أن تحقق مثلها العليا وتبلغ أهدافها الكبرى دون أن تتعثر أو تضل الطريق . وهو وحده سبيل الخلاص وطريق الإنقاذ . إن الإسلام دين القوة وليس فى ذلك من شك ومصادر قوته من ذاته . فمشرعه هو القهار قيوم السموات والأرض ذو القوة المتين . ومبلغ هذا الدين ﷺ الصبار ذو العزيمة الأمين الذى تحمل وبذل من الجهد وقوة الخلق وحارت قريش فى زلزلته وتهوين دعوته ، واجهها صامداً معتصماً بالله وحده يملؤها فى وجوههم واضحة لتسمع الدنيا كلها «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ماتركته» وهو القائل ﷺ فى حديث الإمام مسلم «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير — ويحدد معالم القوة — احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجزن » كتاب هذا الدين هو القرآن والفرقان : الذى تحدى وأعجز كل إنسان بلسان هذا الدين هو العربى الذى أخرس كل لسان وأبان . خلفاؤه الراشدون الذين أعلوا كلمة الله وحققوا حياة الحق والعدل وأصلحوا دنياهم بدينهم حتى كانوا خير أمة أخرجت للناس ورفرفت رايتهم على نواحى الشرق والغرب . قواده الخالدون الذين أذلوا بسيوفهم رقاب قيصر وكسرى وصارت تيجانهم تحت أقدامهم . ألا فكل من لم يكن قوى النفس والبأس قوى العزيمة والإرادة قوى الانسانية والروح . قوى الخلق والدين قوى الأمل قوى العدة والعتاد فنى اسلامه خداج .

ذلك لأن الإسلام عز فى الدنيا وفوز فى الآخرة . وهو قوة فى العقل وقوة فى اللسان وقوة فى اليد وقوة فى الروح . أما إنه قوة فى العقل فلأنه يفرض عليك قبول الإيمان

بالآيات والدلائل . حتى معرفة الله عز وجل وتوحيده بالحجة واليقين . مثال هذه الحجة في القرآن ماقصه الله علينا في شأن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . مع قومه (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدولي رب إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) وهكذا كانت قوة الإسلام في العقل تصحيح للعقيدة والعبادة وتعميق للايمان بالفكر والتأمل . أما قوة الإسلام في اللسان فبالبلاغة ، والبلاغة معجزة الدين وأداته وهي قوة في الفكرة وقوة في العبارة وقوة في العاطفة . وصدق الله إذ يقول (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغاً) أما قوة الإسلام في اليد فأمرها حكيم . ذلك لأن الله موحيه قد علم أن العقل بسلطانه واللسان ببيانه وهي مدى قوته أيضاً لايغنيان عن الحق شيئاً إذا ما تبلد الحس وتحكمت النفس وعميت البصيرة فجعل من قوة العضد زائداً عن حقه وداعياً إلى حكمه ومنفذاً لشرعه . وفي الحكمة أن الله يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن ومعنى ذلك أن الله كتب على المسلمين القتال في سبيل دينهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وفي سبيل حياتهم وبقائهم آمنين أعزاء أقوياء لايسامون الخسف والعذاب والذلة والهوان ، بل فرض إعداد العدة وعتاد الحرب إرهاباً لعدو الله وعدوهم . وأمرهم أن يقابلوا اعتداء المعتدين بمثله (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) — (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ومن هذا يتضح أن قوة الإسلام في الحكمة والرحمة والعدل . لاقوة السفه والقسوة والجور . بل قوة تدفع البغي والعدوان وتدافع الأثرة والطغيان ليقوم المجتمع والحياة على أساس كريم قويم .

والإسلام بعد ذلك قوة في الروح لأنه يمحص ويزكي جوهرها بالصيام والقيام وسائر العبادات . وإذا ماعرض كل منا على نفسه مرامي العقيدة الإسلامية لوجدها كلها تتجه إلى القوة أو إلى ماتحصل به القوة . فالصلاة قوة روحية قلبية بذكرك وعناجاتك لربك وصلتك به وقوة جسديه بالوضوء والطهور وبعد ذلك قوة عسكريه بالحركة والترتيب والنظام .

ولما كانت بهذه المنزلة من القوة كانت آخر مايفقد من الدين . فلما أضاعها أكثر المدعين

الإسلام إسماً ونسباً أضاع الله عليهم عزهم ومكانهم . وهانوا على عدوهم . والزكاة فريضة اجتماعية فيها تقوية للضعيف بمساعدته وتمكين للمجتمع بالتعاون والتعاطف (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) والحج فريضة لها أثرها ومنافعها فهو يهدى إلى التعارف والتآلف بين مختلف الشعوب والقبائل ألا وإن أشد ما يظهر به القوة بيننا وتنتظم به حياتنا هو الوحدة والجماعة . وهما لباب الدعوة الاسلامية فالوحدة هى الأساس لأنها توحيد لله بعد إشراك واتخاذه وحده إلهاً لامعبود غيره ولا رب سواه له مقاليد السموات والأرض وتوحيد للأمة بعد شتات وتوحيد للكلمة والجماعة بعد تفرق بأن يكون كتابهم هو العاصم والحاكم بينهم وأن يكون نبيهم ﷺ هو الإمام والقدوة وحده «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» أما الجماعة فهى البناء والجهود والتشييد لأنها حملة الشعوب وجمعة القلوب التى ألف بينها وأصلح من شأنها وأعز من كيانها ورفع من مكانتها هذا الدين العظيم الذى أرسل به محمد ﷺ . ثم قامت سياسة الإسلام على استدامة القوة بين المسلمين بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة حتى أوجب الله قتال الطائفة التى تبغى على جماعة المسلمين (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى امر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما) بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) والحرص على الجماعة يتجلى فى هذه الصلاة إنما يعظم أمرها ويضاعف أجرها إذا أديت فى جماعة وشرع الله هذه الجماعة تتكرر فى اليوم والليلة خمس مرات ثم تكثر ، وتزداد فى صلاة الجمعة كل أسبوع ثم تعظم فى صلاة العيدين فى كل عام ثم تضخم فى أداء الحج مرة على الأقل فى كل العمر، على هذا كان إسلام رسولنا ﷺ وخلفاؤه الراشدون .

وعلى هذه القوة والتماسك كانت بطولة خالد وسعد وأبو عبيدة رضى الله عنهم ، كانت هذه الأمة العظيمة تعرف الحق والهداية والصراط المستقيم فى كتابها وتعرف العزة والجهاد والسيف لأعدائها : كانوا يجمعون بين قيادة للمعركة وإمامة الصلاة . فلما شتت الوحدة وتفرقت الجماعة والكلمة وأصبح الكتاب تمائم يعلقها مرضاهم على الصدور وتجارة للقراء ورياء تبدلت الحال بعد عزة واستخلاف إلى تخاذل واستضعاف وأصبح مسلموا اليوم على أخلاق العبيد يطأطأ بعضهم ولا يندى لهم جبين وتنقصر عزتهم فلا يحمى لهم أنف تنزل بهم المحنة فيتخاذلون تخاذل القطيع عاث فيه الذئب تلم بهم الشدة فيتواكلون تواكل الاخوة دب فيهم الحسد . كأن الاسلام الذى كان عامل القوة والاستخلاف أصبح اليوم علة ضعف واختلاف

من قصص القرآن

شعر عبده محمد الرهوان من مؤسسى الجماعة بمدينة منوف
وممثل محافظة المنوفية فى مؤتمر الشعر أو العرب

هل يبلغ الوصف من شعرى ومن قلمى ... مقام آى تحدث أفصح الأمم
أستلهم الله فيما قمت أنشده ... مردداً معجز التنزيل والحكم
مستعبرا من دمى دمعاً لطائفة ... الحى فيها يدوى وهى فى صمم
تظن جهلا بأن الشمس مطلعها ... فى الغرب والغرب فى التكوين للظلم
لم تستضىء بهدى التنزيل فاضطربت ... تعلو وتهوى بلا رأى ولا نظم
وليت تاريخها فى الشرق يوقظها ... فتقتفى أثر الماضين فى الهمم
وتعرف اليوم قوما كان شرقهم القرآن سادوا وعاشوا قادة الأمم

* * *

ياساعة فى جراء الدهر يرقبها ... ليستبين الهدى من نورها العمم
قر النبى بها عينا وضاء بها ... الهدى والنور ركن البيت والحرم
« جبريل » جلجل فيها صوته وتلا ... « اقرأ » فهدم من كفر ومن صنم
تمنت الشمس لو نالت بها قبساً ... من نورها باعت الدنيا من الصرم
نور الكتاب الذى تزداد جدته ... وكم جديد طوته آفة القدم
أهل العلوم وأهل النور قل لهما ... هل جئتما بعض مافيه من النظم . .
لو أنصفوا أخذوا منه لحاجتهم ... فى خدمة الدين والدنيا ومجدهم
رب الدواء ورب الداء أنزله ... فيه الشفاء فما للناس فى سقم
وقل لمن بات مشغوفا بمن كتبوا ... وانشأوا قصصا فى العرب والقمم
قم هات من معجز القرآن قصته ... عن الفنون ووصف الله فى أرم
وعرش « بلقيس » و « العفريت » منتصب ... لدى سليمان فى إصغاء محتشم
ومن له بالكتاب العلم جاء به ... قبل ارتداد لطرف العين من أمم
أين الفضاء ومن يغزو الفضاء إذن ... فى سرعة فوق عقل الحاذق الفهم
والصرح والفن فيه حين تدهلها ... فتكشف الساق خوف الماء للقدم
وهالها من سليمان الذى شهدت ... بعد النبوة من ملك ومن عظم
فأسلمت وهدى التوحيد يبهرها ... وصدها الله عن كفر وعن ظلم

السماوات السبع

للأستاذ محمد سليمان عثمان

قرأت ما كتبه بعض الأفاضل المتخصصين فى علم الفلك عن السماوات السبع فى عدد غرة ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ من مجلة (الوعى الإسلامى) .

وقد أدار الكلام فى صورة حوار بينه وبين صديق له ، فسأله الصديق عن (السماوات السبع ماهى ؛ وكيف تكون السماوات مأوى الأشباح ومكان الأرواح ، ومثوى الموتى من عهد آدم والله يأمرنا برصدها ودراستها فى مثل قوله تعالى (قل أنظروا ماذا فى السماوات والأرض) وقوله (ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض) إلخ الآيات . فكان جواب الكاتب الفاضل أنها : (١) الغلاف الجوى (٢) الشهب (٣) النيازك (٤) القمر (٥) الكواكب السيارة (٦) المذنبات (٧) الشمس .

وقبل أن ننتقل إلى الكلام فى الموضوع نسأل الأخ الصديق ماذا تعنى بعبارة الأشباح والأرواح ، ومثوى الموتى من عهد آدم ؟ إن كنت تعنى بالأشباح والأرواح تلك الأساطير المتداولة بين العامة وأشباههم من نقلة الخرافات ، ورواة الأباطيل والأسحار ، مثل عفاريت الليل والأشباح التى تظهر عند مقتل إنسان ونحوه على حد تعبيرهم . . فهذه خرافات لا أصل لها وجديرة بأن تكذب وترد . . والسماوات أطهر وأجل من أن تدنس بمثل هذه الخرافات والأوهام . . . وإن كنت تعنى بالأشباح والأرواح : الملائكة الذين هم عباد الرحمن ، الذين يسبحونه بالليل والنهار لا يسأمون (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) . . والذين هم ملء السماوات وهم الملأ الأعلى ، ومنهم حملة العرش العظيم الحافين من حوله (ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) وهم خلق لا يعلم عددهم إلا الله الذى خلقهم . . إن كان يقصد بهم هؤلاء . أو ينكر أن أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين تصعد إلى الملأ الأعلى فذلك خطأ ينبغى رده ، وصاحبه فى حاجة إلى التوبة وإلى أن يجدد إيمانه

إن الإتيان بتلك العبارة الساخرة المزرية تخشى أن يكون المتكلم بها ممن لا يؤمنون بالغيب من الملائكة والجن والأرواح والعرش وحملته والكرسى الذى وسع السماوات والأرض وسدرة المنتهى والجنة والنار وما إلى ذلك من عالم الغيب . والملكوت الذى ابتلى الله إيماننا فى التصديق به ، وجعله فيصلا بين المؤمن الذى أسلم وجهه لله ، وبين الملحد الطبيعى المستكبر الذى فرح بما يعلم من ظاهر هذه الحياة الدنيا ، وتاه بما لديه من المعرفة .

أما إن كل ما يعلونا من الرياح والسحاب والغلاف الجوى والسدم والمجاميع الكوكبية والمجرات تسمى سماء فهذا حق حسب اللغة التى نزل بها القرآن ، وحسب الظاهر الذى يبدو لعلماء الطبيعة والفلك من ظاهر علم الحياة الدنيا . وذلك مبلغهم من العلم . . . وأبحاث العلماء وأرصادهم وأنظارهم لا تعدو هذه الظواهر ، وهى التى أمروا بدراستها ، والتأمل فى نظامها ، فى مثل قوله تعالى (قل أنظروا ماذا فى السماوات والأرض) (ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض) . . .

وأما السماوات السبع التى لها أبواب تفتح كما جاء فى حديث المعراج المتفق على صحته ، واستفتحها جبريل حين عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم . والتى تفتح لروح المؤمن إذا عرج بها ، ويشيعها فى كل سماء مقربوها ، كما صح فى عدة أحاديث ، وكما قال الله تعالى فى أرواح الكفار (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) فأمر وراء هذه الظواهر لا يعرف إلا عن طريق الأنبياء . . والأنبياء وحدهم والمؤمنون بهم هم الذين يعرفون ذلك . . والكون ليس محصوراً فيما نبصر ونعلم . . . فلئن كان ما نراه من ملكوت الله وآياته عظيماً فيما نرى ، فما أقلها فيما يغيب عنا منه مما قصرت أبصارنا عنه ، وكلت عقولنا دونه ، وحالت الغيوب بيننا وبينه (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم » ولا يكفى لنفى شىء إنه لا يرى بالأبصار ولا يدرك بالحواس . فما من ظاهرة كونية إلا ويكمن وراءها حقيقة غيبية . . . فيحتاج إلى عقل إيمانى يكشف ما وراء هذه الظواهر من الحقائق . . . أفلا يؤمن الكاتب الفاضل وصديقه بالملائكة الذين يحضرون مجالسنا ، ويحفظون أعمالنا ويكتبونها ويصعدون بها إلى الله (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) . أفنراهم بأعيننا ، ونشعر بهم ؟ . . أو لا يؤمن بالملائكة الذين يحضرون الإنسان عند وفاته ؟ فيجلسون منه مد البصر ثم يأتى ملك الموت فيقبض روحه ، ويصعد بها فتفتح لها أبواب السماوات فيشيعه فى كل سماء مقربوها حتى ينتهى بها إلى العرش إن كانت الروح مؤمنة . وتغلق دونها أبواب السماء ، إن كانت فاجرة . . افتراها تصعد وتنتهى إلى الغلاف الجوى أو النيازك أو القمر أو المذنبات إلى آخر ماذكره الكاتب ؟ ؟ . .

وقد جاءت الأحاديث النبوية أن الإنسان يجلس فى قبره ، ويأتيه ملكان يسألانه عن ربه ونبيه ودينه وأن القبر يتسع ويضيق عليه ، وأنه إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ، وأنه يضرب فى قبره إن كان فاجراً ويشتعل عليه القبر ناراً . . وقد اعترض بعض الزنادقة على ذلك قديماً فقال : إنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة

يضربون الموتى بمطارق من حديد ، ولا نجد هناك حيات وثعابين ، ولا نيراناً تاجج ، ولو كشفنا حالة فى حالة من الأحوال ، لوجدناه لم يتغير ، ولو وضعنا على عينيه الزئبق ، وعلى صدره الحردل ، لوجدناه على حاله ، وكيف يفسح له مد بصره فى قبره ، ويضيق عليه ، ونحن نجده بحاله ، ونجد مساحته على حد ما حفرناها إلى شبهات كثيرة يوردونها فى حق المصلوب ، والذى أكلته الوحوش ، والطيور وقالوا أيضاً : وكيف يتسع ذلك اللحد الضيق له ، وللملائكة ، وللصورة التى تؤنسه وتوحشه ؟ وقد أجاب العلامة ابن القيم عن هذه الشبهات ، وأجاد ، وأطال النفس فيها ، ولولا ضيق المقام لأوردناها كلها ، ولكننا نكتفى من ذلك بالعبارات التالية قال رحمه الله تعالى : « إن الله سبحانه جعل الدور ثلاثا (١) دار الدنيا (٢) دار البرزخ (٣) دار القرار . وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس . . وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان ، والأرواح تبعاً لها . . ولهذا جعل أحكامه الشرعية ، مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح . وإن أضمرت النفوس خلافه . . وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبعاً لها . . فكما تبعت الأرواح الأبدان فى أحكام الدنيا فتألمت بألمها ، والتذت براحتها ، وكانت هى التى باشرت أسباب النعيم والعذاب ، تبعت الأبدان الأرواح فى نعيمها وعذابها ، والأرواح حينئذ هى تباشر العذاب والنعيم . فالأبدان هنا ظاهرة ، والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور لها . . والأرواح هناك ظاهرة ، والأبدان خفية فى قبورها ، تجرى أحكام البرزخ على الأرماح ، فتسرى إلى أبدانها نعيما أو عذابا ، كما يجرى أحكام الدنيا على الأبدان . فتسرى إلى أرواحها نعيما أو عذابا فأحط بهذا الموضع وأعرفه كما ينبغى يزيل عنك كل اشكال يورد عليك من داخل وخارج » اهـ ما لخصناه من عبارة ابن القيم .

أما بعد فيجب التحرر من هذا العقل المقيد بالمحسوسات فإنها لا تزيد الإنسان إلا بعداً عن الحقائق وعليكم بالعقل الإيمانى الذى ينير البصائر ويصلكم بعلوم الأنبياء ويخرجكم من ضيق الدنيا إلى العالم الفسيح الرحب عالم الغيب وعالم ما بعد الطبيعة فلئن كانت أبصاركم تنتهى إلى هذا الكسر المحدود من عالم المحسوسات ، فابصار الأنبياء تنتهى إلى عالم الغيب والملكوت الواسع فهم يعلمون مالا نعلم ، ويرون مالا نرى ويجب التسليم لهم فيما يقولون إن كنا مؤمنين بالله . . فإذا عرض لنا من كلامهم ما لا يفهم على طريقة علماء الكون الذين وقفوا أنفسهم عند المحسوسات كان تأويله على نظر الأنبياء لعالم الغيب والملكوت الذى هو أرحب مدى من هذه المحسوسات وبذلك تندفع إشكالات كثيرة . وإلى هذا القدر نكتفى الآن وربما كانت لنا عودة إلى البحث والله الموفق وهو يهدى إلى السبيل .

أحسن ماقرأت :

الرسول الكريم ﷺ

كان رسول الله ﷺ يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر . يأمر كل إنسان أن يعود إلى إنسانيته الكريمة التى أنعم عليه بها ربه ، رب العالمين العليم الحكيم ، الذى خلق الإنسان كله فى أحسن تقويم ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل له السمع والأبصار والأفئدة على سواء ، لعلهم يتذكرون ، فيزيدهم فهماً وعقلا وهدى . كان ﷺ يأمر كل إنسان أن لايقدس إلا ربه وحده ، ولا يذل إلا لربه وحده ، ولا يعبد إلا ربه وحده . كان يقول ما أمره به ربه (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلا أنما إلهكم إله واحد) كان يقول « أنا بشر أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكرونى » كان يقول « أنا عبد ، أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » . كان يقول « لاتطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم . فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » . كان يقول « والله ما أدرى ـ وأنا رسول الله ـ مايفعل بى ولابكم » ويقول دائما ما أمره به ربه أن يقول (رب زدنى علما) كان يسوى بين بلال وأبى بكر ، فيرفع الله أبا بكر بتقواه وإيمانه .

ما كان ﷺ يفرض نفسه على الناس . ولكن يفرضه عليهم الوحى لهداهم وسعادتهم ما كان يترفع على الناس بلباس ولا طعام ولا مجلس ، بل كان يلبس مايلبسون ، ويجالس حيث ينتهى به المجلس ، حتى كان يأتى الغريب فيسألهم : أيكم ابن عبدالمطلب؟ ولكن كانت قلوبهم ترفعه فى أعلى درجات الحب والاكبار ، بما يملكها من بره وكريم خلقه وعالى أدبه ، وعظيم شفقته وإيثارهم على نفسه . ما كان يؤثر نفسه عليهم إلا بحمل الأعباء الثقيلة شفقة على أصحابه ورحمة بهم . ما كان يوما من الأيام كلا ولاعالة على أحد إلا على ربه ، فكان راعى غنم ثم تاجراً ، ثم جعل الله رزقه تحت ظل رمحه ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره . كان يقول : « والله لوسرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » . كان يأخذ الحق من القريب والبعيد على سواء ، ويعطى الحق البعيد والقريب على سواء ، كان ينتصف من نفسه . كان يبلغ الناس رسالة ربه ، ويبين للناس مانزل إليهم ، فى رأفة ورحمة وشفقة ، لافى تعاظم واستكبار وإذلال على الناس وعجب بما خصه الله وميزه . لأنه كان يؤمن أنها أمانة فى عنقه يؤديها ، والله صاحب الأمانة من فوقه رقيب حسيب ، لا أنها عطية

يقتضى الناس أجرها ثناء ولامالا ولاجاها له أو لأحد من أسرته . كان يعطى الكثير الذى لايقدر عليه غيره — من ذات نفسه ذات يده ، ويرى نفسه — بعد ذلك — مقصراً فيقول « رب إنى ظلمت نفسى ظلما كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » .

وعلى الجملة كان رسول الله ﷺ فى كل شأنه فى نفسه وغيره يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، لاعوج فيه ولاميل ولا التواء لأنه حكيم رشيد . ماضل وماغوى وماينطق عن الهوى .

هل يستوى هذا الرسول الكريم ، الرءوف بالمؤمنين الرحيم ، وأولئك الذين لبسوا ثوب الدين صناعة وحرفة ، وقلوبهم أشد قسوة من الحجارة . وهم أحرص الناس على الحياة ومتعها ولهوها وزورها وباطلها ، الذين ينفرون الناس عنهم باخلاقهم وأعمالهم ، ثم يفرضون أنفسهم ويفرضهم الدهماء أشباه الأنعام رجال الدين ؟ كلا والله . ولكن أكثر الناس لايعلمون .

بدعة نصف شعبان

فى ليلة النصف من شهر شعبان يجتمع عوام المسلمين بعد صلاة المغرب فى المساجد ليقرءوا دعاء خاصاً .

هذا الاجتماع لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد خلفائه الراشدين ولا على عهد السلف الصالح ، وإنما هو بدعة ابتدعها المسرفون وأذاعوها ، وطوع الجهل للناس قبولها ، ويعتقدون أن هذا الدعاء يطيل العمر ، ويوسع الرزق ؛ ويكشف البلاء . . .

وما هذه الليلة إلا كسائر ليالى العام لاتمتاز منها بشىء ، والأحاديث الواردة فى شأنها ليس فيها شىء يرتقى إلى درجة الحسن فضلا عن الصحيح ، بل كلها إما ضعيف واه ، وإما موضوع كما قرره أئمة هذا الشأن .

وأما الدعاء الذين يدعون به فلم يرد عن رسول الله ﷺ وفيه أكاذيب تحمل المؤمن على أن يربأ بنفسه عن أن يدعو به .

ومن عبارات هذا الدعاء قولهم : (فى ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم) وهذا معنى باطل ، لأنهم يقصدون (ينقض فيها كل أمر حكيم ويبرم) والأمر الحكيم لاينقض .

ولا شك أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر ، لا ليلة النصف من شعبان . والمعنى : يفرق بينه وبين الأمر الباطل بالعلم والقرآن الذي هو الفرقان .

وليلة القدر في رمضان يقيناً وليست في شعبان .

وخير الأدعية ما أثر عن رسول الله ﷺ

عن أنس قال « كان أكثر إدعاء النبي ﷺ : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » متفق عليه .

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » رواه مسلم .

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه أن يدعو بهذا الدعاء « اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني » وهذا دعاء جامع يجمع الدنيا والآخرة .

هذا والدعاء آداب تنبغي مراعاتها :

منها : أن يكون بذلة وضراعة وانكسار ، ومنها : أن يكون خفية بين العبد وربه .

وقد بين لنا رسول الله ﷺ أحوالا وأوقاتا يكون فيها الدعاء أقرب إلى الإجابة فلننتحرها ، ولنكثر من الدعاء فيها فذلك قمن أن يحقق لنا الإجابة. قال رسول الله ﷺ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم

وروى الترمذي من حديث أبي أمامه قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبات » .

الملائكة . . .

« الملائكة » جمع ملك. وهو نوع مما خلق الله ، لا يعلم كيفية خلقهم ولا كنه حقيقته إلا الله . فهم من علم الغيب الذي لا سبيل للانسان إلى إدراك كنهه والعلم بحقيقته بأي حاسة، من حواسه التي هي أبواب علمه ، اللهم إلا ما نقرأ عنهم في كتاب الله وصحيح حديث رسول الله ﷺ ، كما نقرأ عن الآخرة ومواقفها ، والجنة والنار ، وما أعد في كل منهما لأهله مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فما جاءنا عن الله ورسوله في ذلك آمنا به ، ولا نضرب له الأمثال . وما جاءنا عن غيرهما أعرضنا عنه وأهملناه . فإن أول ركن يعتمد عليه الإيمان الصادق : هو الإيمان بالغيب ، كما ورد به النص الصحيح الصريح ثم الوقوف عند ذلك .

إعداد : محمد رشدي خليل